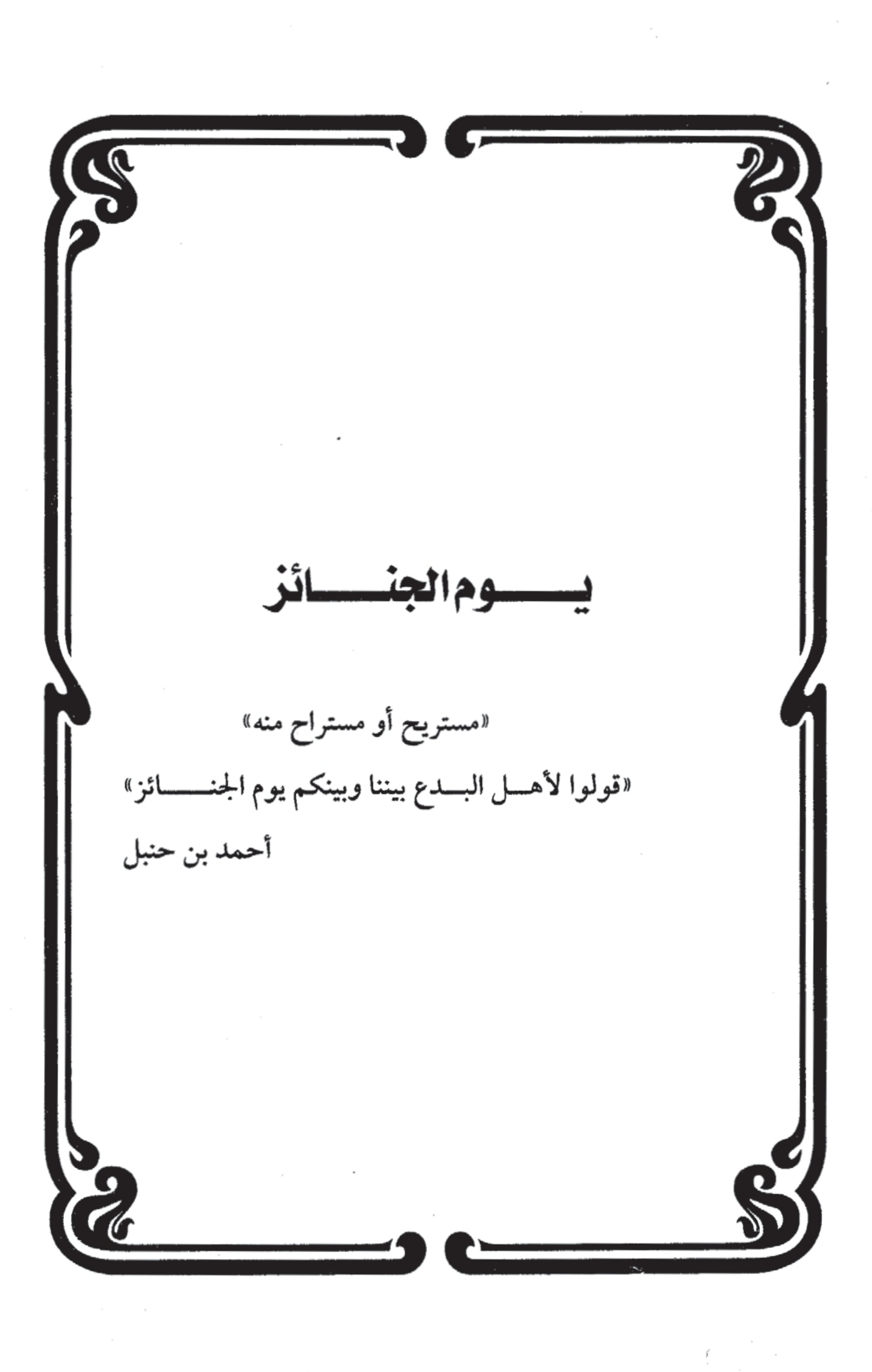


يـــوم الجنـــائز

«مستريح أو مستراح منه»

«قولوا لأهـل البـدع بيننا وبينكم يوم الجنـــائز»

أحمد بن حنبل

يــوم الجنـــــائز

يوم الجنائز... ما أحلاه من يوم للطيبين الصالحين..

وما أهوله من يوم للعاصين الطالحين..

أضحك سنك طــول الأمــل ولم يبك عينك قربُ الأجـل

كـأنك لـم تـر حـيًّا يُـســاق ولم تر ميْتًا على مغتَسـل

«كان المزني يغسّل الموتى تعبدًا واحتسابًا، وهو القائل: تعانيتُ غسل الموتى ليرق قلبي فصار لي عادة».

يا هذا...

ستخرج من بيتك في رحلة لا ترجع بعدها أبدًا..

وستركب مركبًا لا تركب مثله أبدًا...

رأى أحد الصالحين جنازة فقال: أما هذا فقد انقطعت أعماله واحتاج إلى دعاء مَن بعده.

● يوم الجنائز يوم الراحة للطيبين، ويوم الراحة من العاصين والكافرين.. يوم تبكي السماء فيه على الأبرار.. ويبكي عليه ممشاه إلى المسجد ومصعد عمله إلى السماء... وتستريح الأرض من أُناس.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: قيل يا رسول اللَّه ماتت فلانة واستراحت! فغضب رسول اللَّه ﷺ وقال: «**إنما يستريح مَن غُفِر له**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٦٩ و١٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٩٠)، والبزار عن عائشة، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥١) عن محمد بن عروة، وصححه بمجموع طرقه =

● وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ مُرّ عليه بجنازة، فقال: «**مستريح أو مستراح منه**»، قالوا: يا رسول اللَّه ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «**العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللَّه، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»(١).

● قال علي ﷺ: «إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلاّه من الأرض ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى ولا في السماء مَصْعَد عمل، فقال اللَّه تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ**﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس»(٢).

وقال مجاهد: «ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، فقيل له: أَوَ تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يعمرها بالركوع والسجود؟! ما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل»(٣).

= الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧١٠)، وقال: «يبدو من هذه الطرق أن للحديث أصلاً أصيلاً عن النبي ﷺ».

(١) أخرجه مالك، وعنه البخاري (٤/ ٢٣٣)، وكذا مسلم (٣/ ٥٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٧/ ٣٤٥)، «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣١).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ٣٤٥)، في قول اللَّه تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ [الدخان: ٢٩]:

ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الحقيقة؛ لقول علي، وابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**﴾ [محمد: ٤]، أي: أهل الحرب.

والثالث: أن العرب تقول إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم: أظلمت الشمس له، وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسماء والأرض يريدون المبالغة في وصف المصيبة؟ =

فالصالح تبكي لموته السماء وأهلها، فيوم موته جنازة لأهل الأرض، والطالح يوم موته عيد لأهل الأرض يستريحون منه ومن أذاه حتى الجماد.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم؛ فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، وإن كانت غير صالحه قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»**(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»**(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا صلوا على جنازة فأثنوا خيرًا، يقول الرب: أجزتُ شهادتهم فيما يعلمون، وأغفر له ما لا يعلمون»**(٣).

● وقال ﷺ: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**(٤).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من أربعين من مؤمن يستغفرون**

= وليس ذلك بكذب منهم كما قال الشاعر:

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

أراد الشمس طالعة تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر.

معنى الكلام: «إن اللَّه لما أهلك قوم فرعون لم يبك عليهم باك، ولم يجزع جازع، ولم يوجد لهم فَقْد، هذا كله كلام ابن قتيبة» انتهى من «زاد المسير» (٧/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي سعيد.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «التاريخ» عن الرُبيّع بنت معوذ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٦٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٢).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٢٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٩).

لمؤمن، إلا شفعهم اللَّه فيه»[١] .

● وقال ﷺ : «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون باللَّه شيئًا، إلا شفعهم اللَّه فيه»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ما من مسلم يصلي عليه أمّة إلا شفّعوا فيه»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون أن يكونوا مائة، فيشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ما من ميّت يُصلي عليه أمة من الناس، إلا شفّعوا فيه»[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من صلى عليه مائة من المسلمين غُفِر له»[٦] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «لا يموت أحد من المسلمين، فيصلي عليه أمة من المسلمين، يبلُغوا أن يكونوا مائة، فما فوقها، فيشفعوا له، إلا شُفّعوا فيه»[٧] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٦٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٦٨٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وأبو داود عن ابن عباس.

(٣) **حسن**: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» عن ميمونة، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٩٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٦٢).

(٤) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أنس وعائشة.

(٥) **حسن**: أخرجه النسائي عن ميمونة، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٦٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٨٧).

(٦) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٦).

(٧) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٧٨٧)، ورواه الطيالسي، والبيهقي في «سننه».

● وقال رسول الله ﷺ : «من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن، كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد، ومَن صلى عليها ثم رجع، كان له من الأجر مثل أُحد»(١) .

● وقال ﷺ : «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن كان له قيرطان، مثل الجبلين العظيمين»(٢) .

● وقال رسول الله ﷺ : «من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أُحد»(٣) .

● وقال رسول الله ﷺ : «من صلى على جنازة فله قيراط، ومن انتظرها حتى توضع في اللحد، فله قيراطان، والقيراطان مثل الجبلين العظيمين»(٤) .

● وقال رسول الله ﷺ : «من تبع جنازة حتى يصلى عليها، كان له من الأجر قيراط، ومن مشى مع الجنازة حتى تدفن، كان له من الأجر قيراطان، والقيراط مثل أحد»(٥) .

● وقال رسول الله ﷺ : «من تبع جنازة حتى يصلى عليها، ويفرغ منها، فله قيراطان، ومن تبعها حتى يصلى عليها، فله قيراط، والذي نفس محمد بيده، لهو أثقل في ميزانه من أُحد»(٦) .

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة، وعائشة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم، وابن ماجه عن ثوبان.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٣).

(٥) رواه أحمد، والنسائي عن البراء، ورواه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، والطيالسي عن ثوبان.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجه عن أبيّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٥).

• **أخـــي**: صلاة الجنائز فـي المصلى موضع الجنائز هـي السنة، وتجوز صلاتـها في المسـاجد. قال رسول الـلَّه ﷺ: **«من صـلى عـلى جـنازة فـي المسجد، فليس له شيء»**(١).

• **أخـــي**: لا تفرّط في اتبـاع الجنائز، فقد كان ابن عــمر رضي الله عنهما يصلي عليها، ثم ينصرف، فلما بلغه حـديث أبي هريرة قال: لقد فرّطنا في قراريط كثيرة.

• وقال رسول الـلَّه ﷺ: **«من تبع جنازة حتى يُفـرغ منها، فله قيراطان، فإن رجع قبل أن يُفرغ منها، فله قيراط»**(٢).

• وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من تبع جنازة فصلى عـليها، ثم انصرف، فله قيراط من الأجر، ومن تـبعها فصلى عليهـا، ثم قعد حتى فُرغ منها ومـن دفنها، فله قيراطان من الأجر، كل واحد منهما أعظم من أُحد»**(٣).

• وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يُصلّى عليها، ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أُحد، ومن صلّى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن، فإنه يرجع بقيراط من الأجر»**(٤).

• وقال رسـول اللَّـه ﷺ: **«ثلاث كلـهن حق علـى كل مسلـم: عيادة المريض، وشهود الجنازة، وتشميت العاطس إذا حمد اللَّه»**(٥).

---

(١) **صـحـيـح**: رواه أحمد في «مسنـده»، وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححـه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٥١)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي عن عبد اللَّه بن مغفل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٦)، و«أحكام الجنائز» ص(٦٨).

(٣) **حسن**: رواه النسائي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٧).

(٤) رواه البخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٥) **حـسـن**: رواه البخاري في «الأدب المفـرد» عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني فـي «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٠)، و«صحيح الجامع» (٣٠٣٥).

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[(١)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية، وإجابة الدعوة، وشهود الجنازة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد اللَّه»[(٢)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه: ردّ السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنازة»[(٣)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيتُه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللَّه فشمِّتْه، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه»[(٤)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «الراكب خلف الجنازة، والماشي حيث شاء منها، والطفل يصلى عليه»[(٥)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «الراكب يسير خلف الجنازة، والماشي يمشي خلفها، وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبًا منها، والسِّقط[(٦)] يُصَلّى عليه ويُدْعى

(١) رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٥١)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٤١).

(٤) رواه مسلم، وأحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن المغيرة بن شعبة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٣)، و«أحكام الجنائز» ص(٧٣).

(٦) الولد يسقط من بطن أمة قبل تمامه.

لوالديْه بالمغفرة والرحمة»[١] .

● عن أبي هريرة ﷺ قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أصبح مـنكم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَنْ عاد منكم اليوم مريضًا؟**».

قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَن شهد منكم اليوم جنازة؟**»، قال: أبو بكر: أنا، قـال: «**من أطعم اليوم مـسكينا؟**» قال: أبو بكـر: أنا، قال ﷺ: «**ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا أدخلته الجنة**»[٢] .

● وهذا الفضل في اتباع الجنائز، إنما هو للرجال دون النساء، لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباعها، وهو نهي تنزيه، فقد قالت أم عطية ﷺ:

«كنا نُنـهى - وفي رواية -: نهانـا رسول اللَّه ﷺ، عن اتبـاع الجنائز، ولم يعزم علينا»[٣] .

● ولا يرفع الصوت بالذكر أمام الجنازة؛ لأنه بدعة لقول قيس بن عباد: «كان أصحاب النبي ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز»[٤] .

* يوم الجنـــائز يذكّر بالآخـرة:

● عن أبي سعيد الخـدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عــودوا المريض، واتبعوا الجنائز، تُذَكّركم الآخرة**»[٥] .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن المغيرة بن شعبة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٥)، و«الإرواء» (٧١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٩٢)، (٧/ ١١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» ص(٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ٤٧) والسياق له، والبخاري (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) و(٣/ ١٦٢)، وأبو داود (٢/ ٦٣)، وابن ماجه (١/ ٤٨٧)، وأحمد (٦/ ٤٠٨ و٤٠٩)، وكذا البيهقي (٤/ ٧٧).

(٤) أخرجه الـبيهقي (٤/ ٧٤)، وابـن المبارك في «الزهـد» (٨٣)، وأبو نعيم (٩/ ٥٨) بـسند رجاله ثقات قاله الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٩٢).

(٥) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد»=

*** يوم الجنائز فخر وعز للصالحين:**

وهذي قطفة من بساتينهم:

هذا اليوم يشهد للصالحين وما لهم من الأجر العظيم الذي ينتظرهم ورحم اللَّه الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة حيث يقول: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز».

*** سعد بن معاذ ونعم مصير الصادقين إذا دُعوا إلى اللَّه للوجاهة.. سعد الذي حملته الملائكة.. سعد الذي شيّعه سبعون ألف ملك ما نزلوا إلى الأرض قبل موته قط.. سعد الذي اهتزّ لموته عرش الرحمن:**

سيدنا سعد بن معاذ.. وما أدراك ما سعد؟!.. والمواقف كثيرة.. كيف مات.. ويوم موته.. وجوائز الملِك عز وجلّ له.. ولنا نورد طرفًا من قصته، رُمي سعد يوم الخندق بسهم قطع منه الأكحل.

قال ابن إسحاق:

رماه ابن العَرِقة، فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال: عرّق اللَّه وجهك في النار، اللَّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوْا نبيك وكذّبوه وأخرجوه، اللَّهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة[1].

= ص(٧٥)، وابن حبان في «صحيحه»، والطيالسي، وأحمد (٣/ ٢٧، ٣٢، ٤٨)، والبغوي في «شرح السنة».

قال الألباني في «أحكام الجنائز»: «وإسناده حسن».

(١) رجاله ثقات، وهو في «سيرة ابن هشام»، وأخرجه أحمد بنحوه أطول من هذا.

● وعن جابر رضي الله عنه قال: «رُمي سعد يوم الأحزاب، فقطعوا أكحله، فحسمه النبي ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم، فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك، قال: اللَّهم، لا تُخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عِرْقه، فما قطرتْ منه قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ، فحكم أن يقتل رجالهم، وتُسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه»(١).

● وعن عبد اللَّه بن شداد دخل رسول اللَّه ﷺ على سعد وهو يكبد نفسه، فقال: **«جزاك اللَّه خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزنك اللَّه ما وعدك»**(٢).

* وهذا الحديث في موت سعد يكتب بماء الذهب ووجيب القلب:

● عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحل سعد فثقل، حوّلوه عند امرأة يُقال لها «رفيدة» تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مرّ به يقول: **«كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟»**، فيخبره، حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول اللَّه ﷺ، فقيل: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: **«إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة، فتغسله كما غسّلت حنظلة»**، فانتهى إلى البيت وهو يُغَسّل، وأمه تبكيه وتقول: ويل أم سعدٍ سعدا، حزامة وجدّا. فقال: **«كل باكية**

(١) رواه أحمد، وابن سعد، والدارمي، وإسناده حسن.
(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ورجاله ثقات.

تـكـذب **إلا أم سـعـد»**، ثم خـرج به، قال: يقـول له القوم: مـا حملنـا يا رسول الله ميتًا أخف علينا منه. قال: «**ما يمنعه أن يخفّ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قبل يومهم، قد حملوه معكم**»[(١)] .

أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة. . . هذه واحدة.

● وعن أنس ﷺ قال: لما حُمِلت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته. فقال النبي ﷺ : «**إن الملائكة كانت تحمله**»[(٢)] وهذه ثانية.

● **وثالثة:**

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**هذا العبد الصالح الذي تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك...**»[(٣)] .

● **ورابعة خير من الدنيا وما فيها لسعد: نعاه جبريل يوم موته للنبي** ﷺ :

عن جابر ﷺ قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ : فقال: «**من هذا العبد الصالح الذي مات؟ فُتِحت له أبواب السماء، وتحرّك له العرش**». فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد. قال: «**فجلس على قبره**»[(٤)] . . . انظر من الذي ينعي سعد. . ومن الذي ينعي ملوك الدنيا. . .

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات». انظر: «تخريج سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨٧).

(٢) صححه الترمذي، انظر: «الفتح» (٧/ ١٥٥).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه النسائي، وابن سعد.

ولفظ النسائي: «هذا الذي تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمّ ضمّة ثم فُرِّج عنه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٩٨٧)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٩٥).

(٤) **إسناده صحيح**: رواه النسائي، وابن سعد.

● **وخامسة أغلى وأحلى:**

عن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ**»[١].

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «**اهتز العرش لحب لقاء اللَّه سعداً**»[٢].

وما اهتزّ عرش اللَّه من موت هالك — سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو

قال ابن القيم:

«كان سعد في الأنصار بمنزلة الصدّيق في المهاجرين، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، وخُتم له بالشهادة، وآثر رضا اللَّه ورسوله على رضا قومه وحلفائه، ووافق حكمه حكم اللَّه من فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل عليه السلام يوم موته، فحُقّ له أن يهتز العرش له»[٣]. وهذا متواتر.

قال الذهبي: «والعرش خلق اللَّه مسخّر، إذا شاء أن يهتز بمشيئة اللَّه، وجعل فيه شعوراً لحب سعد، كما جعل تعالى شعوراً في جبل أحد يحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ [سبأ: ١٠]، وقال: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ**﴾، ثم عمم وقال: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا حق»[٤].

قال النضر بن شميل ـ وهو إمام في اللغة ـ:

اهتز فرح قاله الذهبي في «السير» (١/ ٢٩٣) وللَّه در حسان بن ثابت

---

(١) رواه البخاري عن جابر، وأحمد، وابن سعد، والحاكم عن أبي سعيد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٦٤).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٩٧).

حين يرثي سعدًا فيقول:

فأنت الذي يا سعدُ أُبْتَ بمشهد ... كريمٍ وأثواب المكارم والمجدِ
بحكمك في حيّ قريظة بالذي ... قضى اللَّه فيهم ما قضيت على عمدِ
فوافق حكم الملك حكمُك فيهمُ ... ولم تَعفُ إذ ذكرّتَ ما كان من عَهدِ
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الأُولى ... شروا هذه الدنيا بجنّاتها الخلدِ
فنعم مصير الصادقين إذا دُعوا ... إلى اللَّه يومًا للوجاهة والقصدِ[1]

*** عبد اللَّه بن عبّاس ﵄ والمشهد العجيب عند دفنه:**

عن سعيد بن جُبير، قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم يُرَ على خِلْقَتِه، فدخل نعشه، ثُمّ لم يُرَ خارجًا منه، فلما دُفن، تُلِيَت هذه الآية على شفير القبر لا يُدْرى مَن تلاها ﴿**يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾ [الفجر: ٢٧] الآية[2].

قال الذهبي: هذه قضية متواترة[3].

لما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفيّة: اليوم مات ربّاني هذه الأمة.

وقال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه مَن بين المشرق والمغرب في العلم.

وقال معاوية: مات واللَّه أفقه من مات ومن عاش[4].

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٣٢).

(٢) أورده في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٥)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وهو في «المستدرك» (٣/ ٥٤٣، ٥٤٤)، ونحوه في «الحلية» (١/ ٣٢٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، «عبد اللَّه بن عباس» للدكتور مصطفى سعيد الخن =

● فرضي اللَّه عن الحبر البحر إمام التفسير ابن عم رسول اللَّه ﷺ .

* غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر:

تزوّج حنظلة جميلة بنت عبد اللَّه بن أُبيّ بن سلول في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد.

● عن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن حرب حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن صاحبكم تغسله الملائكة**»، فاسألوا صاحبته ـ زوجته ـ فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**لذلك غسّلته الملائكة**»[1] .

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«أصيب حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب، وهما جنب، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**رأيت الملائكة تغسلهما**»[2] . وولده يُقَال لهم:

= ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨) ـ دار القلم.

(١) **إسناده حسن:** رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤): وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه، وأقرّه الذهبي. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي (٤/ ١٥) بإسناد جيد كما قال النووي في «المجموع» (٥/ ٢٦٠) ثم نسي ذلك فقال بعد (٥/ ٢٦٣): وذكرنا أنه حديث ضعيف.

قال الشيخ الألباني: فجلّ من لا ينسى. انظر: «أحكام الجنائز» ص(٧٤).

(٢) **إسناده حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٤٨/ ١) وإسناده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٣)، ورواه الحاكم (٣/ ١٩٥) دون ذكر حنظلة، وقال: «صحيح الإسناد»، وتعقّبه الذهبي فأصاب، لكن له شاهد مرسل قوي أخرجه ابن سعد (ج٣ ق١ ص٩) عن الحسن البصري مرفوعًا مثله.

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (٧٥): «وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات، وفيه =

«بنــو غسيل الملائكة».

قالت زوجته: رأيت كأن السماء قد فُرجـت له فدخل فيها، ثم أُطبقت، فقلت: هذه هي الشهادة.

*** حمزة بن عبد المطلب غسيل الملائكة، وسيد الشهداء وأسد اللَّه:**

قال رسول الـلَّه ﷺ: **«سيد الشهداء عند اللَّه يـوم القيامة حمزة بن عبد المطلب»**.

● وقال رسول الـلَّه ﷺ: **«سيد الشهداء حمزة بـن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»**.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ: «كان حمزة بـن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يديْ رسول اللَّه ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد اللَّه»[١].

● وقال رسـول اللَّـه ﷺ: **«لولا جزع الـنساء لتركـته حتى يُحـشر من حواصل الطير وبطون السباع»**[٢]

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رأيت المـلائكـة تُغَسِّل حمزة بن عبد المطلب، وحنظلة بن الراهب»**[٣].

رد على الحافظ، فإنه وصف حديث ابن عباس بـالغرابة؛ لأنه ذُكر فيه حمزة، مع أنه قال في سنده: إنه لا بأس به، كما حكاه الشوكـاني عنه (٤/ ٢٦)، فالظاهر أن الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ لم يقف على هذا الشاهد.

(١) **إسـناده صـحيـح**: رواه الحاكم في «المسـتدرك» وقال: صحيح على شرط الـشيخين ولم يخرجاه.

(٢) **إسناده حسن لغيره**: رواه ابن سعد في «الطبقات».

(٣) **حســـن**: رواه الطبراني في «الـكبير»، وحسّنه الألباني فـي «صحيح الجامع» (٣٤٦٣)، و«الإرواء» (٧١٣)، و«أحكام الجنائز» ص(٧٥).

والحمد لـلَّه أن هذه الفضـيلة والمنقـبة ثبتت لحـمزة ﷺ مثل ما ثـبتت لحنظلة بن أبي عامر ﷺ.

*** عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمت الدبر جثمانه:**

● قال أبو جعفر الطبري:

«وجُعلت لمن جاء بـرأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرهـا في قريش وجعل كل فتـى من فتيـان قريش يتـمنى أن لو ظـفر بعاصـم بن ثابت وقـدّم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع في السنة الرابعة من الهجرة».

ولـما قاتل عـاصـــم في هذا اليـوم بعــد غدر عـضل القارة بهم تذكّر ﷺ نـذر سلافة التـي نذرتـه، وجـرّد سيفه وهو يقـول: اللَّهم إني أحمي لدينك وأدافـع عنـه، فـاحم لحمي وعظمـي، ولا تظفــر بهمــا أحــدًا من أعـداء اللَّه.

اللَّهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي آخره.

قال ابن إسحاق: فلما قُتِل عاصـم أرادت هذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سلافة بنت سعــد، فمنعته الدَّبْر، فلمـا حالت بينهم وبينه قـالوا: دعوه حتى يمسي فيـذهب عنه فنأخـذه، فبعث اللَّه الوادي فـاحتمل عاصمًـا فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهدًا أن لا يمسه مشـرك ولا يَمسّ مشركًا أبدًا تنجسًا. فكان عــمر بن الخطاب يقـول حين بلغته أن الـدبر منعتـه: يحفظ اللَّه الـعبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشـرك، ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه اللَّه بعد وفاته كما امتنع في حياته»[١].

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٦٧).

فسوف يرون النصر يوماً عليهم بقتل الذي تحميه دون الجرائم
أبابيل دَبْر شمّسٌ دون لحمه حَمَتْ لحم شهّاد عظيم الملاحِمِ[(١)]

* **وعامر بن فهيرة ﷺ: «وارت جسمانه الملائكة وأسلم قاتله لما رأى ما رأى يوم استشهاده».**

* **العلاء بن الحضرمي وكرامته عند موته:**

روى البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥١ ـ ٥٣): عن أنس ﷺ قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثًا لو كانوا في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم... وذكر موت العلاء فقال: فلم نلبث إلا يسيرًا حتى رُؤي في دفنه، قال: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه، فقال: من هذا؟ فقلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرمي، فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى، فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن تُعرِّضه للسباع تأكله، قال: فاجتمعنا على نبشه، قال: فلما وصلنا إلى اللحد إذ صاحبنا ليس فيه، وإذ اللحد مَدّ البصر، نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا». لله درك يا علاء.. نور قبرك يتلألأ..

وكان ﷺ قد دعا وهو الولي الكبير مجاب الدعوة ـ فقال: «اخف جثتي، ولا تُطلع على عورتي أحدًا فلم يُقدر عليه»[(٢)].

* * *

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٧٠).
(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٥٣).

*** الحسن البصري وجنازته المشهودة:**

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٨):

مات الحَسَن في سنة عشرٍ ومئة.

عاش نحواً من ثمان وثمانين سنة.

قلتُ: مات في أول رجب، وكانت جنازته مشهودة، صلَّوا عليه عقِيب الجُمعة بالبصرة، فشيَّعهُ الخَلق، وازدحموا عليه، حتى إن صلاةَ العصر لم تُقم في الجامع.

*** عمرو بن قيس الملائي: وخبر موته العجيب:**

«كان سفيان إذا ذكر قال: حسبك به شيخًا.

وعن الحكم بن بشر بن سلمان قال: رأيت سفيان ـ يجيء إلى عمرو بن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه، لا يكاد يصرف بصره عنه، أظنه يحتسب في ذلك»[١].

«قال أبو خالد الأحمر: كان عمرو بن قيس مؤاجر نفسه من بعض التجار، فمات بالشام، فرأوا الصحراء مملوءة من الرجال عليهم ثياب بيض، فلما صُلي عليه فقدوا. فكتب صاحب البريد بذلك إلى الأمير عيسى بن موسى، فقال لابن شُبْرمة: كيف لم تكونوا تذكرون لي هذا؟ قال: كان يقول: لا تذكروني عنده»[٢].

* * *

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢/ ٢٠٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥١).

* داود الطائي: لم يُسمع بمثل جنازته:

«قال حسن بن بشر حضرت جنازة داود الطائي فحُمل على سريرين أو ثلاثة، تَكَسَّرُ من الزِّحام.

ومناقب داود كثيرة، كان رأسًا في العلم والعمل، ولم يسمع بمثل جنازته، حتى قيل: بات الناسُ ثلاث ليال مخافة أن يفوتهم شهوده»(١).

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ويحك! صم الدنيا، واجعل فطرك الموت».

* الأوزاعي إمام أهل الشام:

● «قال العباس بن الوليد: وحدثني سالم بن المنذر قال: لما سمعتُ الضجة بوفاة الأوزاعي خرجت، فأول من رأيت نصرانيًّا، قد ذرَّ على رأسه الرَّماد فلم يزل المسلمون من أهل بيروت يعرفُون له ذلك، وخرجنا في جنازته أربعة أمم: فحمله المسلمون، وخرجت اليهودُ في ناحِية، والنصارى في ناحية، والقبِطُ في ناحية»(٢).

* الليث بن سعد وجنازته المشهودة:

مات ـ رحمه اللَّه ـ ليلة الجمعة.

قال خالد بن عبد السلام الصرفي: «شهدتُ جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيتُ جنازةً قط أعظمَ منها، رأيتُ الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يُعزي بعضهُم بعضًا، ويبكون، فقلتُ: يا أبت، كأن كل واحد من الناس صاحبُ هذه الجنازة، فقال: يا بني، لا ترى مثله أبدًا»(٣).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٣٤).
(٣) «السير» (٨/ ١٦٢).

* **جنازة أبـي نصر بشـر بن الحارث الحافي شـرف الدنيا قـبل شرف الآخرة:**

«قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي يوم مات بشر بن الحارث: مات بشر. فقــال: ـ رحمه اللَّه ـ لقد كان في ذكره أنـس ـ أو فيه أنس ـ ثم لبس رداءه وخرج، وخرجت معه، فشهد جنازته»[١].

● «وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات واللَّه وما له نظير، إلا عامر بن عبد قيس، فإن عامرًا مات ولم يترك شـيئًا». مات ـ رحمه اللَّه ـ يوم الجمعة سنة سبع وعشرين ومائتين.

● قال يحيـى بن عبد الحميد الحمَّـاني: رأيت أبا نصر التمّـار وعلي بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان في الجنازة: «هذا واللَّه شرف الدنيا قبل شـرف الآخرة، وذلك أن بشـر بن الحارث أخرجـت جنازته بـعد صلاة الصبح، ولم يحصـل في القبر إلا في الليل، وكان نهارًا صائـفًا، والنهار فيه طول، ولم يستقر في القبر إلى العتمة».

● قال أبو حـفص ابن أخت بشر بـن الحارث: «كنت أسمع الجـن تنوح علـى خالي فـي البيت الـذي كان يكـون فيه غـير مرة سمـعت الجن تـنوح عليه»[٣].

* **يحيى بن معين الذاب عن سنة رسول اللَّه ﷺ:**

قال عباس الدوري: مات يحيى بن معـين بالمدينة أيام الحج قبل أن يحج

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٧٩).

(٢) «السير» (١٠/ ٤٧٤).

(٣) «تاريخ بغداد» (٧/ ٧٩ ـ ٨٠).

وهو يريد مكة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحزامي الوالي فأخرجوا له سرير النبي ﷺ فحُمل عليه، فصلى عليه الوالي ثم صُلي عليه مرارًا.

قال أحمد بن محمد بن غالب: لما مات يحيى بن معين نادى إبراهيم بن المنذر الحزامي من أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول اللَّه ﷺ فليشهد.

● وقال جعفر بن محمد بن كزال: «كنت مع يحيى بن معين بالمدينة، فمرض مرضه الذي مات فيه، وتوفي بالمدينة، فحُمل على سرير رسول اللَّه ﷺ، ورجل ينادي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول اللَّه ﷺ»(١).

● قال حبيش بن مبشر الفقيه: رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل ربك بك؟ قال: أدخلني عليه في داره، وأعطاني وحباني، وزوجني ثلاثمائة حوراء، ومهّد لي بين الناس، ثم قال للملائكة: انظروا إلى عبدي كيف تطرّى وحسن»(٢).

*** إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز» فكانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام».**

● قال حنبل: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد اللَّه وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذه من شعر النبي ﷺ، فأوصى

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٨٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٨٧). لعلّه: نضر من النضرة.

أبو عبد اللَّه أن يُجعل على كل عينٍ شعرةٌ، وشعرةٌ على لسانه: ففُعل ذلك به عند موته.

وقال عبد اللَّه بن أحمد ومطيَّن وغيرهما: مات لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يوم الجمعة.

قال صالح بن أحمد: واشترينا له حَنُوطًا، وفُرغ من غسله، وكفناه وحضر نحو مئة من بني هاشم، ونحن نكفِّنُهُ. وجعلوا يُقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير.

قال عبد اللَّه: صلى على أبي محمد بن عبد اللَّه بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه، وقد كُنا صلينا عليه نحنُ والهاشميون في الدار.

ولم يعلم الناسُ بذلك، فلما كان في الغد عَلِمُوا، فجعلوا يجيئون، ويصلون على القبر. ومكث الناسُ ما شاء اللَّه، يأتونَ، فُيصَلُّون على القبر.

قال الخَلاّل: سمعتُ عبد الوهاب الوراق، يقول: ما بَلَغَنا أن جمعًا في الجاهلية ولا الإسلام مثله - يعني: من شهدَ الجنازة - حتى بلغَنَا أن الموضع مُسِحَ وحُزِر على الصحيح، فإذا هو نحوٌ من ألفِ ألفٍ وحزرنْا على القبور نحوًا من ستين ألف امرأة، وفتح الناسُ أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادُون من أراد الوضوء.

وقال الخَلال: سمعتُ عبد الوهاب الوراق، يقولُ: أظهرَ الناس في جنازة أحمد بن حنبل السُّنَّة والطَعنَ على أهل البدع، فسرَّ اللَّه المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزِّ وعُلُوِّ الإسلام، وكبتِ أهل الزيغِ ولزمَ بعض الناس القبرَ، وباتُوا عنده، وجعل النساءُ يأتين حتى مُنْعن، وسمعتُ المروذِي يقول عن علي بن مهرويه، عن خالته، قالت: ما صَلَّوا

ببغداد في مسجد العصر يومَ وفاةِ أحـمد، وقيل: إن الزحمةَ دامت على القبر أيامًا.

● قال المروذي: أُخرجـت الجنازة بعد منـصرف الناس من الجمـعة، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**».

● ـ رحم الله ـ إمام أهل السنة:

قال المـروذي: قُبـض صدر النـهار فـصاح النـاس، وعلـت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجَّت، وامتلأت السكك والشوارع.

● عن بُنان بن أحمد القَصَباني أنه حـضر جنازة أحمد، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة. وحُـرز من حضرها من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النســاء بستين ألف امرأة، ونظروا فـيمن صلى العصر يـومئذ في مسجد الرصافة، فكانوا نيفًا وعشرين ألفًا.

● وقال أبو زرعة: بلـغني أن المتوكل أمر أن يُمسـح الموضع الذي وقف عليه الناس حيثُ صُلِّي على أحمد، فبلغ ألفي ألف وخمس مئة ألف.

● قال المتوكـل أمير المؤمنين لمحمد بـن عبد الله: طوبى لك يـا محمد، صليت علـى أحمد بن حنبل ـ رحمة الـله عليه ـ[1]. للّـه در أحمد وعـلو مكانته بعد موته حين يقول الخليفـة المتوكل هذا لمن شهد جنازة أحمد وصلى عليه.

«ولقد جمـع ابن الجوزي فأوعى من المـنامات في نحو مـن ثلاثين ورقة

---

(١) انظر: «ترجمة الإمام أحمد» (١١/ ٣٣٧ ـ ٣٤٢).

وليس أبو عبد اللَّه ممن يحتاجُ تقريرُ ولايته إلى منامات، ولكنها جندٌ من جند اللَّه، تَسُرُّ المؤمنَ، ولا سيما إذا تواترت».

* قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز:

قال الذهبي في «السير» (١١/ ٣٤٠):

«قال السلمي: حضرت جنازة أبي الفتح القوّاس مع الدارقطني، فلما نظر إلى الجمع، قال: سمعت أبا سهل بن زياد، يقول: سمعت عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز».

قال الحافظ ابن كثير: «وقد صدق اللَّه قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام أهل السنة في زمانه. وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه. ولما مات، ما شيّعه إلا قليل من أعوان السلطان. وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس، وكذلك بشر بن غياث المريسي، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جدًّا، فللَّه الأمر من قبل ومن بعد»[١].

عن الحسن بن عيسى قال: رأيت شابًّا، تُوفّي بقزوين، فقلتُ: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. ورأيته مستعجلاً، فسألته، فقال: لأن أهل السماوات قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل، وأنا أريد استقباله. وكان أحمد تُوفي تلك الأيام[٢].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٢).

(٢) «السير» (١١/ ٣٤٥).

*** وعلى الطرف الآخر قوم قال اللَّه عنهم ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾:**

على الطرف الآخر كفار ومبتدعة وزنادقة «كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض، ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد، ولم تشعر بهم سماء ولا أرض، ولم ينظروا أو يؤجلوا عندما حلّ الميعاد: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**...﴾، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء... فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء. ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء. وذهبوا ذهاب النمال، وهم كانوا جبارين في الأرض يطئون الناس بالنعال، وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على اللَّه وعلى هذا الوجود كله، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين عنه، مقطوعين عنه، لا تربطهم به آصرة، وقد قُطعت آصرة الإيمان»[1].

*** إبراهيم الحربي:**

«قال الدارقطني: كان إبراهيم الحربي يُقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

توفي إبراهيم الحربي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، وكان الجمع كثيرًا جدًّا»[2].

---

(١) «الظلال» (٥/ ٣٢١٤).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٦١٣، ٦١٤).

*** قاضي القضاة بمصر بكّار بن قتيبة:**

حبسه أحمد بـن طولون، «فلما اعتل أحمد بـن طولون، راسل بكّارًا، وقال: إنا رادوك إلى مـنزلك[1] ، فأجبني، فقال: قل لـه: شيخ فان وعليل مُدْنَف، والملتقى قـريب، والقاضي اللَّه عز وجل. فأبلغـهـا الرسولُ أحمدَ، فأطرق، ثم أقـبل يكرّر ذلك علـى نفسه، ثم أمر بـنقله من السـجن إلى دار اكتُرِيَتْ له، وفيها كان يُحدِّث، فلما مات المَلِك قيل لأبي بكرة: انصرف إلى منزلك، فقال: هذه الدار بأجرة، وقد صلحت لي، فأقام بها».

قال الطحاوي: فأقام بها بعد أحمد أربعين يومًا ومات[2] .

قال الذهبي:

«تُوفي سنة سبع ومئتين. وقيل: شيّعـه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ»[3] .

*** شيخ الحنـابلة الإمام الحسن بن عـلي البربهاري وشـرفه وعزه يوم موته:**

جمـع العلـم والزهد وصـحب المـرُّوذي، وسهلاً الـتسـتري. . ، وكان البربهاري شديدًا على أهل البدع، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، وكان ينزل بـبـاب محوَّل، فانتقل إلى الجـانب الشرقي واستتر عـند أخت توزون[4] فبقي نحوًا من شـهر، ثم أخذه قيام الدم فمات، فقالت المـرأة لخادمها: انظر

---

(١) في «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٨) بلفظ: أنا أردّك إلى منزلتك وأحسن.

(٢) «السير» (١٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٣) «السير» (١٢/ ٦٠٤).

(٤) أحد القواد الأتراك.

من يغسله وغلّـقت الأبواب حتى لا يعلم أحد، فجاء الغـاسل فغسله ووقف يصلي عـليه وحده، فاطّلـعتْ فإذا الدار ممتلـئة رجالاً بثياب بـيض وخضر، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيت ما رأيت؟

قالت: نعـم. قال: هذه مفاتيح البـاب وهو مغلق. فقالـت: ادفنوه في بيتـي، وإذا مت فادفنـوني عنده، فدفـنوه في دارها، ومـاتت بعده فـدفنت هنالك.

وقرأت بخط شيخنا أبي الحسن بن الزاغوني قال: «كُشف قبر أبي محمد البربـهاري وهو صحيح لـم يرم، وظهر من قـبره روائح الطيب حـتى ملأت مدينة السلام»[1].

* أبو بكر بن أبي داود السجستاني:

«قال محمد بن عـبد الله بن الشخير: كان ابـن أبي داود زاهدًا ناسكًا، صلى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثة مئة ألفِ إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة سـت عشرة وثلاث مئة، وخلف ثلاثـة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعًا وثمانين سنة، وصُلِّي عـليه ثمانين مرة. نقل هذا أبو بكر الخطيب»[2].

فلما بـلغ ابن سُريج موتُ بـن داود، حزن له، ونَحَّى مخـادَّه، وجلس للتعزية، وقال: ما آسى إلا على تراب يأكل لسان محمد بن داود.

---

(١) «منـاقب الإمام أحمـد» لابن الجوزي ص(٤١٨ ـ ٤١٩)، و«طبـقات الحنابـلة» (٢/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٢) «السير» (١٣/ ٢٣١)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٨).

*** الإمام الحافظ ابن أبي عاصم:**

قال أبو الشيخ:

حضرت جنازة أبـي بكر، وشَهِدَها مئتا ألف مـن بين راكب وراجل، ما عدا رجل كان يتولى القضاء، فحُرِم شهود جِنازته، وكان يرى رأي جَهْم.

قال أبـو الشيخ: سـمعت ابنـي عبد الـرزاق يحكي عـن أبي عبد اللّـه الكِسَائـي، قال: رأيت ابن أبي عاصـم فيما يَرى النـائم كأنّه كان جَالـسًا في مسجد الجامع، وهو يُصلي من قعود، فَسَلَّمت عليه، فردَّ عليَّ، وقلت له: أنت أحمد بن أبي عاصم؟ قال: نعم. قلت: ما فعل اللَّه بك؟ قال: يُؤنسني رَبي. قلتُ: يؤنسك ربُّكَ؟ قال: نعم. فشهقْت شهقةً، وانتبهتُ»[1].

*** الشيخ الإمام القدوة ابن خفيف صَلَّوْا عليه نحواً من مئة مرة:**

تفقّه على أبي العباس بن سريج.

قال الإمام الـذهبي: «قد كان هـذا الشيخ قد جمـعَ بين العلمِ والـعَمَل، وعُلوِّ السَّنَد، والتمسكِ بالسنن، ومُتعَ بطول العُمر في الطاعة.

عاش خـمسًا وتسـعين سنة، وازدحَـمَ الخلقُ عـلى سريره، وكـان أمرًا عجيبًا، وقيل: إنَّهم صَلواْ عليه نحواً من مئة مرة»[2].

*** محدث الديار المصرية الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي:**

قال الحافظ الذهبي: «قد كان لعبد الغني جنازة عظيمة تحدّث بها الناس، ونُودِي أمامها، هذا نافي الكذب عن رسول اللَّه ﷺ»[3].

---

(١) «السير» (١٣/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

(٢) «السير» (١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٧١).

*** الخطيب البغدادي الإمام الذي كان يذبّ عن النبي ﷺ الكذب:**

«قال ابن خيرون: مات ضحوة الاثنين. وتصدّق بماله وهو مئتا دينار، وأوصى بأن يُتصدقَ بجميع ثيابه ووقف جميع كتبه، وشيّعه الفقهاءُ والخلقُ وحملوه إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازةِ جماعةٌ ينادون: هذا الذي كان يَذبُّ عن النبي ﷺ الكذبَ، هذا الذي كان يَحفظُ حديث رسول اللَّه ﷺ وخُتِمَ على قبره عدةُ خَتَمات»[١].

*** شيخ القرّاء محمد بن النضر بن الأخرم الدمشقي:**

انتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

قال الذهبي في «السير» (١٨/ ٢٩٢):

«قال عبد الباقي بن الحسن: تُوفي أبو الحسن بن الأخرم بعد سنة أربعين، وصلّيت عليه في المصلى بعد الظهر، وكان يومًا صائفًا، وصعدت غمامة على جنازته من المصلى إلى قبره، فكانت شبه الآية له ـ رحمه اللَّه ـ».

*** جنازة شيخ الإسلام، الإمام القدوة أبي منصور محمد بن أحمد ابن علي الخياط:**

«نقل السِّلَفي عن علي بن الأيسر العكبري قال: لم أر أكثر خلقًا من جنازة أبي منصور، رآها يهودي، فاهتال[٢] لها وأسلم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٨٦).

(٢) اهتال: من الهول، وهو المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه. والجمع: أهوال. ويُقال: هُلته فاهتال: إذا أفزعته ففزع.

وقال أبو منصور بن خَيرون: «ما رأيت مثل يوم صُلِّي على أبي منصور من كثرة الخلق»(١) .

* الإمام الحافظ أبو موسى المديني الأصبهاني والمطر العظيم في الحرّ الشديد:

حافظ المشرق في زمانه.

● عن عبد اللَّه بن محمد الخُجنديِّ، قال: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاءَ مطرٌ عظيمٌ في الحر الشديد، وكان الماءُ قليلاً بأصبهانَ، فما انفصلَ أحدٌ عن المكان مع كثرةِ الخلقِ إلا قليلاً، وكانَ قد ذكرَ في آخرِ إملاءٍ أملاهُ: أنهُ مَتَى مات من له منزلةٌ عند اللَّه، فإن اللَّه يبعثُ سحابًا يومَ موتهِ علامةً للمغفرةِ له، ولمن صَلَّى عليه»(٢) .

* شيخ الإسلام الحَجْري عبد اللَّه بن محمد بن علي الأندلسي:

«قال الربيع بن سالم:

صادف وقت وفاته قحط، فلما وُضِعت جنازته سُقُوا، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلاّ في الوحل وهو رأس الصالحين، ورسيس الأثبات الصادقين. وكانت جنازته مشهودة بسبتة»(٣) .

* الإمام ابن الجوزي واعظ الدنيا:

قال سبطه: توفي ليلةَ الثالث عشر من رمضان سنةَ سبعٍ وتسعين وخمس

---

(١) «السير» (١٩/ ٢٢٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٦).

(٣) «السير» (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

مئة، وغُلقت الأسواق، وجاء الخلقُ، وصلى عليه ابنُه أبو القاسم عليٌّ اتفاقًا، لأن الأعيانَ لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصورِ، فصلوا عليه، وضاقَ بالناسِ، وكانَ يومًا مشهودًا، فلم يصل إلى حفرتهِ بمقبرةِ أحمد إلى وقتِ صلاة الجمعةِ، وكانَ في تموز، وأفطر الخلقُ، ورَمَوا نفوسهُم في الماء. إلى أن قال: وما وصل إلى حفرتهِ من الكفنِ إلا قليلٌ، كذا قال، والعهدةُ عليهِ[1] وأُنزِلَ في الحفرةِ، والمؤذن يقول: اللَّه أكبر، وحزِنَ عليه الخلقُ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمعِ والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدثُ أحمدُ بن سلمانَ السكر في النومِ، وهو على منبرٍ من ياقوتٍ، وهو جالسٌ في مقعد صدقٍ والملائكةُ بين يديهِ والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه وأصبحنا يوم السبت عملنا العَزَاءَ، وتكلمت فيه، وحضرَ خلقٌ عظيمٌ، وعملت فيه المراثي.

ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعدّ الناس هذا من كراماته؛ لأنه كان مغرى بها»[2].

* جنازة الناصر صلاح الدين الأيوبي:

● قال القاضي ابن شداد:

«كان يومًا لم يصب المسلمون والإسلام بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون، وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمها إلا اللَّه تعالى. وباللَّه

---

(١) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «وهذا من مجازفة أبي المظفر».
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

لقد كنتُ أسمعُ من بعض الناس أنهم يتمنّون فداء من يعزّ عليهم بنفوسهم، وما سمعتُ هذا الحديث إلا على ضرب من التجوّز والترخص إلا ذلك اليوم، فإني علمت من نفسي ومِن غيري أنه لو قُبل الفداء لفُدي بالنفس. ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء في الإيوان الشمالي، وحفظ باب القلعة إلا عن الخواص من الأمراء والمعممين، وكان يومًا عظيمًا قد شغل كل إنسان ما عنده من الحزن والأسف والبكاء والاستغاثة عن أن ينظر إلى غيره، وحفظ المجلس عن أن يُنشد فيه شاعر أو يتكلم فيه فاضل أو واعظ، ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مُكّنا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يُلَتُّ به الطين، وغسّله الدَّوْلعي الفقيه، ونُدِبتُ إلى الوقوف على غُسله، فلم يكن لي قوة تحمّل ذلك المنظر، وأخرج بعد صلاة الظهر - رحمة اللَّه عليه - في تابوت مسجى بثوب فوط، وكان ذلك وجميع ما احتاج إليه من الثياب في تكفينه قد أحضره القاضي الفاضل من وَجْه حِلٍّ عرفه. وارتفعت الأصوات عند مشاهدته، وعظم الضجيج، حتى أن العاقل يتخيّل أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا، وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة، وصلّى عليه الناس أرسالاً، وكان أوّل من أمَّ بالناس القاضي محيي الدين ابن الزكيّ، ثم أعيد - رحمة اللَّه عليه - إلى الدار التي في البستان، وكان متمرضًا بها - رحمة اللَّه عليه - ودُفن في الصفة الغربية منها، وكان نزوله في حفرته - قدّس اللَّه روحه ونوّر ضريحه - قريبًا من صلاة العصر، وكان الناس قد شغلهم البكاء، فما يوجد قلب إلا حزين، ولا عين إلا باكية. واللَّه يحسن خلافته من بعده، ويجزيه ما هو أهله.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها　　　فكأنها وكأنهم أحلام[1]

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد ص(٢٤٦ - ٢٤٧).

*** جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية أكبر جنازة في تاريخ الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد بن حنبل:**

مات في سجن القلعة بدمشق في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وحضر جمع إلى القلعة، فأُذن لهم في الدخول، وجلس جماعة قبل الغسل، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله، وممن غسّله الإمام الحافظ المزي، فلما فرغ من ذلك أُخرج وقد اجتمع الناس بالقلعة، والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبادين والفوّارة.

وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار، أو نحو ذلك.

ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلى عليه ـ أولاً ـ بالقلعة. تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام.

ثم صلى عليه بجامع دمشق عقيب الظهر، وحُمل من باب البريد، واشتد الزحام، وصار النعش على الرءوس، تارة يتقدم وتارة يتأخر، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام، وكل باب أعظم زحمة من الآخر.

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام، لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة: باب الفرج، الذي أخرجت منه الجنازة، ومن باب الفراديس، ومن باب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل.

وتقدّم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن. وحمل إلى مقبرة الصوفية. فدُفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد اللّه ـ رحمهما اللّه ـ

وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير.

وأغلق الناس حوانيتهم. ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، وأنه لو قدر ما تخلّف أو من أعجزه الزحام.

وحضرها نساء كثير بحيث حُرزن بخمسة عشر ألفًا، وأما الرجال فحرزوا بستين ألفًا وأكثر إلى مائتي ألف. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء، وتضرع.. وتردد الناس إلى قبره أيامًا كثيرة ليلاً ونهارًا.

ورؤيت له منامات كثيرة صالحة. ورثاه جماعة بقصائد جمّة[١].

● وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/ ١٤٣ ـ ١٤٥):

«قال الشيخ علم الدين البرزالي: لا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ توفي ببلدة دمشق، وأهلها لا يعشرون[٢] أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته، وانتهوا إليها. هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة، مما ينفّر منها طباع أهل الأديان، فضلاً عن أهل الإسلام، وهذه كانت جنازته.

قال: وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور. فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها، وتكلم به الحرّاس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلا

(١) «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(٣٦٩ ـ ٣٧١) باختصار.
(٢) أي: لا يصيرون عُشرهم عددًا.

وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه، حتى من الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا، ولا فتحوا كثيرًا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزّاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده يبكون ويثنون «على مثل ليلى يقتل المرء نفسه» وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي ـ رحمه اللَّه ـ وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبّلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه.

وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا فيها إلى آخر اقتربت الساعة: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥]، فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيّران عبد اللَّه ابن المحب وعبد اللَّه الزرعي الضرير ـ وكان الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ يحب قراءتهما ـ فابتدآ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى.

ثم شرعوا في تغسيل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هناك، ولم يدعوا عنده إلا مَن ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي، وجماعة من كبار

الصالحـين الأخيار، أهل العلـم والإيمان، فما فرغ مـنه حتى امتلأت الـقاعة وضجّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة. . . ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي، والخلائق فـيه بين يديْ الجنـازة وخلفها وعـن يمينها وشـمالها ما لا يـحصى عدتهم إلا اللّه تعالى، فصرخ صارخ وصاح صائح: «هكذا تكون جنائز أئمة السنـة» فتباكى النـاس وضجّوا عند سمـاع هذا الصارخ، ووُضع الشـيخ في موضع الجنائـز مما يلي المقصورة، وجلس الـناس من كثرتهم وزحمـتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصًّـا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع وبري الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكـان، ينوي خلق الـصيام لأنهم لا يتـفرّغون في هذا الـيوم لأكل ولا لشـرب، وكثر النـاس كثرة لا تحدّ ولا تـوصف، فلمـا فرغ من أذان الظـهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة، فلما فـرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فـصلّى عليه إمامًا، وهو الشيخ علاء الدين الخراط، ثم خرج الناس مـن كل مكان من أبواب الجامع والبلـد، واجتمعوا بسوق الخـيل، ومن النـاس مَن تعجّل بـعد أن صلى فـي الجامع إلى مـقابر الصوفيـة، والناس في بكاء وتهـليل في مخافـتة كل واحد بنفسـه، وفي ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلـى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن[1] هذا العالَم.

وبالجملة كان يومًـا مشهودًا لم يعهد مثله بدمـشق إلا أن يكون في زمن بني أمية حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دُفن عند أخيه قريبًا

---

(١) يَقلْن: أي يبغضن.

من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات، وما علمت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلّف عن الحضور في جنازته، وهم ثلاثة أنفس: وهم ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قُتِلوا وأهلكهم الناس، وتردّد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية.

وعملت له ختمات كثيرة، ورؤيت له منامات صالحة عجيبة، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدًّا» ا.هـ.

رحمة اللَّه على شيخ الإسلام ما استطاع شانئوه أن يخرجوا يوم موته خوفًا من بطش العامّة بهم.

● قال ابن سلار الشافعي:

مات للَّه صابراً وسْط سجنٍ   يوم الاثنين، سِرُّه مشهودُ
وتولاّه الأبرار غَسْلاً ودفْنًا   أبيض الوجه، في الثرى ملحود
حين وافى على الرءوس مُسجّى   والبرايا من كل حيّ وفود
صِحْتُ من فرط ما بدا لي: مَهْـ   ـلاً، لك في جنة الخلود خلود
يا لها من رزيَّة طاش فيها   كل لب وتقشعرّ الجلودُ
يا ابن تيمية عليك سلامي   كل وقت يمضي، ووقت يعود[1]

---
(١) «العقود الدرية» (ص٣٩٤ ـ ٣٩٥).

● وقال الشاعر:

يدل تراب القبر من جاء زائراً | إليه بطيب فيه يَعبق ندّه
لا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه | ولكنه حسن الثناء ومجده
عليك، أبا العباس فاضت مدامعي | وقلبي لبعدي عنك أُجّح وَقْدُه
على مثلك الآن المراثي مباحةٌ | وإن غاض دمعي فالدماء تمدّه

● وقال الشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرئ في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية:

بكت السماء عليه يوم فراقه | أسفًا، وجاء الغيث والأمطارُ
وبكى الشآم، ومُدْنه، وبقاعه | لما قضي، وكذلك الأمصار
أوَما نظرت إليه فوق سريره | حَفّت به من ربه الأنوار؟
والناس من باكٍ عليه بحرّة | ودموعهم فوق الخدود غزارُ
وهمُ ألوفٌ، ليس يحصي جمعهم | إلاّ إله غافر ستار

● وقال الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخيّاط:

خشعت لهيبة نعشك الأمصار | لمّا عليه تبدّت الأنوارُ
وبه الملائكة الكرام تطوّفت | زمرا، وحَفّت حوله الأبرارُ
فكساه رب العرش نوراً ساطعًا | فكأنما غشيَ النهار نهارُ
ولأمة الإسلام حول سريره | سام إلى رب السماء جؤارُ
ولهم دموع من خشوع نفوسهم | ودموعها فوق الخدود غزارُ
كان الممات زفاف عرس حياته | وبه النفوس مع الدموع تثارُ
ولقد أسفت على فراقي أحمدا | إذ ليس لي قُضيت به الأوطار

لو كان يُفدى هان عند فدائه الأمـ سوال، والأولاد والأعمارُ
قد كان مغناطيس أفئدة الورى أُنْسًا ولكن في القليل نفارُ
ما كنت أحسب أن يوم وفاته يبدو المصون وتهتك الأستار
بكر النساء من الستور ثواكلا ومن الخدور النُّهَّد الأبكار
والناس أمثال الجراد، لهم على الـ ـتابوت منه تهافت ودوارُ
فكأنه يعسوب نحل حوله حيًّا وميتًا للنفوس مطار
يفنى الزمان وينقضي وبأحمد وحديثه تتحدث السمّار[1]

● وقال برهان الدين التبريزي:

كما فاق في الآفاق بالعلم والتقى وشاع له في الناس ما هو شائعُ
كذلك لم يُسمع بمثل جنازة الإمـ ـام تقيّ الدين أحمد سامع
مشيّعها ضاق الفضا بازدحامهم ورصَّت بمن صلّى عليه الجوامعُ
وزفّ على الأعناق فوق سريره زفاف عروس نحو حِبٍّ تُسارِعُ
وأودعه الأحباب عند وداعه لمن لم تَخِب يومًا لديه الودائعُ
وعادوا من التوديع حَرْقَى جوانح وغَرْقَى جفون، أغرقتها المدامعُ
وما زالت النسوان يبكين فقده إلى أن نضت من دمعهنّ البراقعُ
فلو أنه يفدى فدته نفائس النفوس، ولكنّ القضا لا يدافعُ
هنيئًا لرمْسٍ ضمّ بحر فضائل فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا

(١) «العقود الدرية» ص(٤١٨ ـ ٤٢٠).

● وقال المتيّم: عبد اللَّه بن خضر الرومي:

خرجت من السجن الذي كان ضيّقا إلى دار فوز في رياض فسيحة
حُملت على النعش الذي كان تحته مئين ألوفا في بكاء وضجّة
وصلّى عليك الحاضرون جميعهم بحسن اعتقاد فيك يا شيخ قدوة
ومعهن أبكار تحجبن بالتقى ينحن بأكباد عليك حزينة
لقد كنت روحًا للقلوب وراحة وقوتًا وأنْسًا للنفوس النفيسة[١]

* شيخ الإسلام الحافظ المزي:

بحر العلم الزاخر.

«مات سنة ٧٤٢هـ وهو يقرأ آيه الكرسي، ثم دُفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن تيمية، وكان الجمع في جنازته متوفرًا جدًّا».

* شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

● قال فيه الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١١٤): «من تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبّه القلوب».

«مات ـ رحمه اللَّه ـ سنة ٧٥١هـ وكانت جنازته حافلة جدًّا، ورؤيت له منامات حسنة، وكان هو قد ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام، وأنه سأله عن منزلته فقال: إنه أُنزل منزلة فوق فلان وسمى بعض الأكابر، قال له: وأنت كدت تلحق به، ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة»[٢] .

---

(١) «العقود الدرية» (ص٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٢) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٢١ ـ ٢٣).

*** شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وجنازته المهيبة:**

● قال السخاوي: «حصل في حال المسير بجنازته غيم، وأرخت السماء مطرًا خفيفًا جدًّا لا يبلّ الثياب شبه الغبوق».

وقد أشار إلى ذلك ابن النقاش في مرثيته:

أبكي عليه وقد شالوا جنازته ... ونقّطت مُزْنَةٌ من نَسْمَةَ السَّحَرِ

أنقى من الثلج إشراقًا وريحَتُها ... أذكى من المسكِ والنّدِ الذَّكِي العطرِ

وبُشِّرَت برضا الرحمن خالقه ... والحور قد زُيِّنت بالحُلْي في السُّرَرِ

وكانت ساعة عظيمة، وأمرًا مهولاً، ووقع النَّوْح في سائر النواحي من أصناف الخلق، حتى من أهل الذّمة.

واجتمع في جنازته من الخلق من لا يحصيهم إلا اللَّه عز وجل، بحيث ما أظن كبير أحد من سائر الناس تخلّف عن شهودها، وقفلت الأسواق والدكاكين، ويُقال: إنه حُزِر من مشي في جنازته بنحو خمسين ألف إنسان، وعندي أنه لا يتهيّأ حصرهم ولا يدرك حدّهم.

وفي ظني أنه ما بعد جنازة التقي ابن تيمية أحفل منها، وما رأينا أحدًا من الشيوخ يذكر أنه رأى مثلها، بل ولا ما يقاربها، حتى بلغني عن الشيخ شمس الدين النَّشائي أنه حضر جنازة البُلقيني ولم تكن كهذه.

وتولى الأمراء مقدّموا الألوف حمل جنازته، وكان جهد الشخص الشديد الذي يتمكن من الوصول إلى نعشه أن يمسّ النعش برأس إصبعه وساروا وعلى مشهده من الخفر والسكون والتؤدة والمهابة والجلالة ما لا يعبّر عنه.

وتلقى السلطان جنازته ليشهد الصلاة عليه، ورام قاضي القضاة علم الدين البلقيني الصلاة عليه إمامًا، فأخّرة السلطان، وأشار إلى أمير المؤمنين

الخليفة العباسي بالتقدم، ويقال: إنه قال: هو أمير المؤمنين وأنت أمير المؤمنين، فصلى بالناس عليه.

وما أحقّه بقول القائل:

لم أَنْسَ يوم تَهَادَتْ نعشُه أسفًا ... أيدي الورى وتراميها على الكفنِ

كزهْرةٍ تتهاداها الأكف فلا ... يُقيمُ في راحةٍ إلاّ على ظَعَنِ

وقد شوهد كذلك؛ كأن الناس يتعلّقون ليدركوا النعش بأيديهم ويقول القائل:

عجبًا لقبرٍ فيه بحرٌ زاخرٌ ... عجبًا لبحرٍ لُفّ في أكفانِ

وما أحسن قول القائل:

انظر إلى جبل يمشي الرجال به ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصَّلَفِ

وانظر إلى صارم الإسلام مُنغمِدًا ... وانظر إلى ذروة الإسلام في الصَّدَفِ

ولما انتهوا من دفنه، أخذوا في القراءة عنده بعد الذكر والابتهال في الدعاء له ساعة طويلة، وأقاموا على قبره أسبوعًا، تختم في كل يوم وليلة عنده ما شاء اللّه من الختمات. . .

وصلَّوْا عليه صلاة الغائب بغالب البلاد، وحصل الضجيج والبكاء والانتحاب أسفًا على فقده، فمن الأماكن التي صُلِّي عليه بها كما علمته مكة المشرفة، وبيت المقدس، وبلد الخليل، وكانت ساعة عظيمة في الموضعين. وحلب، وما أشك أنه فُعل كذلك بدمشق، بل وبغيرها من البلاد النائية، تقبّل اللّه منهم.

وأما المنامات التي رؤيت له في حياته وبعد موته، فشيء كثير، لا أستطيع الإحاطة به[1] .

(١) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٣/ ١١٩٣ ـ ١١٩٧)، ص(١٣٣٩).

* **الشيخ عبد العزيز بن باز: «يبكيك محراب يئن ومسجد»:**

● شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز.. وجنازته تقف الكلمات عاجزة أن تصور جلالها.. «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز» الألوف والألوف والأدمع الباكية والحشود الوالهة تقول الكثير والكثير في صمتها.

بكاؤك حتمٌ، فقد كنت فرداً ... وفي كل قلب تمهّدت مهدا
سرى نعيك المرّ يطوي الزمان ... إلى كل بيت ونفس تَهدّى
ففزّع في دربه الهاجعات ... وأيقظ في الريح برقًا ورعدا
وأرسلت الشمس بعض الشعاع ... إلى الأرض يستنبئ الأمر - وفدا
وعاد المدى كابيًا، يتّكي ... عياء، وقد أصبح الأمر جدّا
وراع الفضاء حنين الجموع ... إليك، فأنّاتهم ليس تهدا

* * *

صلاة الجنازة كانت بكاء ... تخشع منه السماء وتندى
وكان صرير النعوش يحد ... ث أنك كنت الأثير المفدّى
تلاقى لتشييعك الأبعدون ... فزند يزاحم في الحشد زندا
ولما تمهدت فوق الرقاب ... تضوّعت الأرض مسكًا وندا
هنا يشمخ المجد، تعنو الجبال ... ترفّ الدروب نضاراً وورداً
سلام عليك فقد كنت نوراً ... تسرب في أعينٍ كن رمدا
وقد كنت ناراً يفرّ الصقيع ... إذا اشتعلت، كنت للحق جندا
تساميت في زمن المصغرات ... إلى اللّه تدعو، ولم تأل جهدا
أفي عالم متحن بالسواد ... تجيء؟ لقد كنت للنور مدّا
وقد كنت رعشة نجم سخيّ ... ولم تخش ليلاً أعاد وأبدا
كدحت إلى اللّه كدح المحب ... شفيف الرؤى بالسنا قد تردّى

فـيـا مـن رأى جـسـداً نـاحـلا طوى رغبـة النفس جوداً وزهدا
ويـا مـن رأى الألـف فـي واحـد جـهـاداً وعـلـمًـا ورأيًـا أسـدّا

* * *

تـثـاءب هـذا الـظـلام طـويـلاً بعيني واستامني الرّوع سهداً
لـدن قـيـل أودى الإمـام الجـلـيـل ومـن كـان لـلـروح رَوحـا وبـرداً
سلام عـلـيـك فـقـد كـنـتَ فـردَا سنبكيك نوراً ونبكيك مجداً(١)

* وخاتمة المجددين شيخ الإسلام الألباني:

وبرغم عدم الإعلان عن وفاته إلا في أضيق الحدود، والإسراع بدفنه حسب وصيته فقد حضر جنازته الآلاف.. مضى إلى ربه سريعًا مثلما يطوف النور بالأرض سريعًا ويمضي.. ورحل عن دنيانا فخر الزمان ومجدد الحديث بربوع الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

العـام عـام تـرجُّل الـفـرسـان من شيخنا البازيّ للألباني
فترى الجزيرة والشام مواجع ومدامع تربو على الطوفان
علماء قد حملوا الهداية معلمًا للحق يهدي حائر الثقلان
هم في الوجود صحائف قد سطّرت بمداد أفئدة الهدى الرباني
هم في الوجود موانئ لسفائن الـ ـتوحيد تثري دوحة الإيمان
عادوا بها بيضاء بعد غشاوة وسمَوْا بها عن مجمع البهتان
رغم العِدَا.. علماؤنا لم يرحلوا فهواء مسجدنا غدا ألباني
رغم العِدَى، فرسـاننا لم يرحلوا سِرْب البزاة سحائب البلدان
يا ناصر الدين الحنيف محاربًا ومنابذاً بدع المضلّ الجاني
وإذا سألت عن الحديث وأهله فاسأل يجبك على السؤال بياني
علم الحديث دراية ورواية في عصرنا سلطانُه الألباني

(١) لعبد اللَّه بن سليم الرشيد من كتاب المجلة العربية «الشيخ ابن باز» ص(٥٥ ـ ٥٦).

* جنازة أتاتورك الرجل الصنم:

إن كانت هذه جنازات الطيّبين الصالحين.. فهناك جنائز للمارقين.. هي الوحل والدّنس وعاقبة السوء للفاجرين.. أتاتورك في يوم جنازته وذهابه إلى مزبلة التاريخ.

في يوم الخامس عشر من أكتوبر رحل أتاتورك عن هذا العالم، ويدور جدال حول الصلاة عليه، وكان من رأي رئيس الوزراء ألا يصلى عليه، وحدث خلاف مع قائد الجيش الأول، وأخيرًا وبعد جدل وافقوا أن يُصلَّى عليه، ولكن مَن الذي أمّ الناس؟.

إذا كان الغراب دليل قوم فلا فلحوا ولا فلح الغرابُ

إنه مدير الأوقاف شرف الدين أفندي الذي أصبح رئيسًا للشئون الدينية في عهد أينونو، حاول إقناع أينونو بالقيام بكفر لم يستطع أتاتورك نفسه القيام به، وهو جعل الترجمة التركية للقرآن الكريم لغة للعبادة، وفرض قراءتها في الجوامع، بقوة القانون.. ويا للَّه أتاتورك يصلي عليه شرف الدين هذا، وافق شنٌّ طبقةَ.

وعرضوا جثمانه لزيارة الناس ثلاثة أيام بلياليها.

ومات نتيجة الازدحام الشديد أربعة عشر شخصًا، وفقدت بعض البنات بكارتهن بأصابع عديمي الحياء، مارسوا هذا أمام تابوته الرصاصي كعادة الصليبيين.

هذه جنازة الفاجر المارق.

* * *

*** وأخيرًا: لا تنس النعش.. لا تنس الجنائز**

«دخل بهـاء الدين السبكـي على الشيخ بـرهان الدين الإبناسـي يعوده، وكان تجاههما نعـش، فنظر السبكي إلى النعش، ثم قال لـلإبناسي: يا شيخ برهان الدين، أتدري ما يقول هذا النعش؟ فقال: إنه يقول:

انظـــرْ إلـيّ بعَـقْـــلِـكْ　　　أنـا المُـعَـــدُّ لحَـمْــلِـكْ
أنـا ســـريرُ المـنـايـــا　　　كم ســـار مثـــلي بمثـــلِكْ»[1]

* * *

---

(١) «المنهل الصافي» ليوسف الأتابكي (١/ ٤١٣) ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.